

الآداب الغربية القديمة

1. الأدب اليوناني

أ. الأساطير اليونانية:

نشأت الاساطير عند الإنسان البدائي استجابة لرغبته في تفسير العالم من حوله، «كانت حياة الإنسان الأول شاقة عسيرة، وكان العالم من حوله يعج بظواهر لا يفهمها ومشكلات لا يقوى على تحليلها، ولكنه ازداد على مر الزمان خبرة وذكاء وازداد رغبة في فهم هذه الطبيعة وتفسيرها؛ فما اصل العالم؟ وكيف خلق الإنسان والحيوان؟ وكيف نشأت افلاك السماء في مسالكها ونظامها؟ كيف نعلل حركات الشمس والقمر؟...»¹. بهذا كانت الاساطير أول شكل من أشكال المعرفة في طفولة البشرية.

1- تعريف الأسطورة: اختلف الباحثون في تعريف الأسطورة ، حيث يعرفها ليفي سترأوس : " الأسطورة حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية " و يصفها الدكتور عبد الرضا علي بأنها : " الوعاء الأشمل الذي فسر فيه البدائي وجوده و علل فيه نظرتة إلى الكون ، محددًا علاقته بالطبيعة ، من خلال علاقته بالآلهة التي اعتبرها القوة المسيرة والمنظمة و المسيطرة على جميع الظواهر الطبيعية، وتعاقب الفصول، والليل والنهار، والخصب والجفاف، مازجا فيها السحر بالديني، وصولا إلى تطمين نفسه ووضع حد لقلقه وأسئلته الكثيرة . إنها أسلوب لشرح معنى الحياة و الوجود صيغ بمنطق عاطفي كاد يخلو من المسببات، امتزج فيها الدين بالتاريخ، والعلم بالخيال، والحلم بالواقع". ويعرفها مارسيا إلياد بأنها الجزء القولبي المصاحب للطقوس والشعائر الدينية عند الشعوب البدائية، فقد كانت الأساطير في العهود الغابرة نمطا من أنماط معرفة العالم، وهي قصة أبطالها الآلهة تروي كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود بفضل خوارق الكائنات الماورائية، سواء كانت الحقيقة التي تفسرها كلية أم جزئية متعلقة بمظهر أو بسلوك بشري.. ولكنها دوما حكاية خلق تقوم على التفسيرات الميتافيزيقية .

2- تعريف الميثولوجيا: كان لكل شعب أساطيره التي اقتصت الميثولوجيا بدراستها، والميثولوجيا هي العلم المختص بدراسة الأساطير، و كلمة ميثولوجيا تستخدم للتعبير عن ثمرة إنتاج معين لشعب من الشعوب في شكل حكايات و روايات يتناقلونها جيلا بعد جيل .. وكان الإغريق يسمون هذه الروايات و الحكايات ميثوي Mythoi ومعناها " ألفاظ و كلمات " ..وبالرغم من أن كلمة "ميثولوجيا " لا تعني أصلا من ناحية الاشتقاق أكثر من " قص الحكايات " إلا أنها تستعمل للدلالة على الدراسة المنظمة للروايات التقليدية لأي شعب من الشعوب أو لكل الشعوب بقصد معرفة الطريقة التي نمت بها حتى أصبحت رواية تروى، وإلى أي مدى كان الاعتقاد بها، وكذلك بقصد حل المشاكل الأخرى المتعلقة بها علاقتها بالدين، وأصولها، وعلاقتها بروايات لشعوب أخرى، وغير ذلك . فالميثولوجيا تعني " نظام الأساطير كما يرويها جنس معين، كما يعني هذا اللفظ دراسة الأساطير بصفة عامة، أو علم الأساطير " .

¹ زكي نجيب محمود وأحمد أمين: قصة الأدب في العالم الجزء الأول، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021، دط، ص97.

3- الميثولوجيا اليونانية: تختصر كلمة الميثولوجيا اليونانية مجموع الروايات المدهشة والأساطير المنوعة، التي تدل نصوصها وآثارها الباقية على أنها حدثت في البلدان الناطقة باليونانية، ووقعت بين القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد .

أحست جميع الشعوب في فترة من تاريخها بالحاجة إلى تفسير الكون، واليونان كذلك، ففي البدء كانت الهيولى وهو فضاء واسع مضطرب مائج، ولم تكن هناك حدود للدنيا، وتدرجيا قسم الهيولى نفسه إلى كائنين ضخمين، أي إلهين عظيمين هما : جايا أو الأم الأرض وأورانوس أو السماء المخيمة فوق الأرض، ولما تزوج أورانوس جايا أنجبا عدة أولاد، بعضهم جميل جدا، والبعض الآخر وحوش عمالقة ومفزعون، أطلق على النوع الأول " تيتان " وعددهم 12 تيتانا ضخام الأجسام ذوي قوة جبارة و يشبهون البشر، ومن أشهرهم أوقيانوس و نيتيس اللذان حكما البحر ، و هيباريون و ثيا إلهة الشمس و القمر ، و ريا التي عرفت فيما بعد بالأم العظمى و كرونوس أصغر التيتان و أقواهم .

أما العمالقة المتوحشون الذين أنجبهم أورانوس و جايا فهم نوعان :

- هيكتونخيريس أي العمالقة ذوو المئة يد .

- السيكلوبس (الصقالبة) أي العمالقة ذوو العين الواحدة .

مقت أورانوس جميع أولاده و لا سيما العمالقة الستة الذين كرههم أكثر من الجميع لذا حبسهم في المناطق السفلى من الأرض المسماة تارتاروس، أما الأم الأرض جايا، فلم تمقت أي واحد منهم و غضبت لحبس أولادها الستة فطلبت من التيتان المساعدة ضد أبيهم لكن أحدا منهم لم يستجب باستثناء أصغرهم كرونوس الذي أخذ منجلا حادا و ذبح به اباه فنشأ من دم أورانوس العمالقة الذين هم أشبه بالبشر منهم بالآلهة وكانوا يلبسون جلود الحيوانات البرية واشتهروا بأنهم مقاتلون متوحشون ، كما نشأت من دمه الفوريات أو اليومينيدس اللواتي كانت شعورهن ثعابين تتلوى.

لما تغلب كرونوس على أبيه أورانوس حكم العالم و تزوج ريا ، و قسم اميراطوريته بين زملائه التيتان لكنه كان قاسيا، وحمل في ذاته لعنة جريمته الأبوية، و قبل أن يفكر في تحرير إخوته من تارتاروس فكر في إغراقهم أكثر في الظلمات الجحيمية، مما أثار أمه جايا ضده، فتنبأت به بأن أولاده سيخلعه عن عرشه، وعلى ذلك كان يبتلع كل طفل يولد له عند ولادته مباشرة، و قد أنجب ثلاثة أبناء هم : هاديس، بوسيدون و زوس وثلاث بنات هن : هستيا ، ديميثيه و هيرا .

ولما ولد زوس ظن كرونوس أنه ابتلعه كما ابتلع إخوته و لكن ريا كانت قد استبدلته بدهائها و بتحريض من جايا بحجر منحوت على شكل طفل .

نقل زوس سرا إلى جزيرة كريت حيث قامت بتغذيته الحوريتان إديا و أدراسثيا بلبن العنزة أمالثيا، وحين ماتت العنزة المرضع احتفظ زوس بجلدها جاعلا منه درعا يلوح به في سماء العاصفة .

لما اكتمل نمو زوس عزم على أن يهزم كرونوس و بمساعدة جايا أجبره على تقيؤ أولاده الخمسة، ولما خرج هؤلاء ساعدوا زوس في شن الحرب على الإله العجوز، و انظم جميع التيتان تقريبا إلى جانب كرونوس، بينما انظم إلى جانب زوس إخوته و العمالقة ذوو المئة يد وذوو العين الواحدة، وكان قد أطلق سراهم من تارتاروس، ولكي يكافئ السيكلوبس زوس صنعوا له الصاعقة والبرق، بينما زوده العمالقة ذوو المئة يد بسلاح الزلازل .

وقف الآلهة العجائز على جبل بينما وقف الآلهة الصغار على جبل آخر و استمرت الحرب عدة عصور انتهت بسقوط التيتان من حصنهم الجبلي، ولما حاولوا الفرار طاردهم الآلهة الصغار وحبسوا معظمهم في

تارتاروس، وكلف ابن أحدهم ويدعى أطلس بأن يحمل الدنيا فوق كتفيه إلى الأبد، وكان ولدان تيتان آخر هما بروميثيوس وإيثيمبوس قد رفضا حمل السلاح ضد زوس فأفلتا من السجن، ولمدة ما كان بروميثيوس المستشار الأول لزوس قبل أن يختلف معه و ينحاز للبشر .

وقد قسم الآلهة الدنيا فيما بينهم، فأخذ زوس السيادة على الآلهة والبشر وكان يحكم كملك من قمة جبل الأولمب، واختار هيرا زوجة له، وعهد إلى بوسيدون بحكم المحيط، وإلى هاديس بحكم العالم السفلي، وصارت هستيا ربة الوطيس والمنزل، وصارت ديميته ربة الزراعة.

4- أهمية الميثولوجيا اليونانية :

يرى مارسيا إلياد أن الأسطورة عند المجتمعات البدائية قصة حقيقية مقدسة، مثالية و ذات مغزى، ولكن الإغريق أفرغوا الأسطورة تدريجيا من قيمتها الدينية الميتافيزيقية و انتهى بها الأمر للدلالة على ما يمكن أن يوجد حقا فحتى عهد اليونان كانت الآلهة لا تشبه الواقع أبدا، لم تكن تشبه أي شيء حي، ففي مصر مثلا نجد التماثيل الضخمة جامدة، ولا تهبها قوة الخيال الحركية، فتراها ثابتة مستقرة كأعمدة المعبد الضخمة، وكل تمثيل لما هو بشري كان يصنع عمدا بحيث لا يشبه البشر، وفي بلاد ما بين النهرين نجد الأشكال الحيوانية في النقوش لا تشبه أي حيوان معروف، رجال برؤوس طيور، وليوث برؤوس ثيران، وكلها بأجنحة نسور، فإبداعات الفنانين المنكبين على العمل عمدت إلى تقديم ما لم يره أحد، إلا مخيلتهم، وكله لا يمت إلى الواقع بصلة. لكن اليونان صنعوا آلهتهم على شكل البشر، وبظهور هذه الفكرة ، فكرة "أنسة الآلهة" بدأ الكون يصبح معقولا حيث صورت الميثولوجيا اليونانية عالما مؤنسنا أليفا، وبشرا تحرروا من الخوف المريع من المجهول الكلي القدرة .

إن المكان الذي ولدت فيه افروديت من الزبد يمكن لأي زائر قديم أن يراه، إنه يبعد قليلا عن شاطئ جزيرة سيثرا ، وبيجاس ، الحصان ذو الأجنحة الفولاذية، بعد أن يخلق في الفضاء طيلة يومه، يرجع عندما يجن الليل إلى إسطل مريح في كورنثا.

فقد جعل الناس المحليون كل الكائنات الأسطورية واقعية، حتى وإن كان هذا المزج بين الواقع والأسطورة يبدو صبيانيا، واللامعقول المخيف ليس له مكان في الميثولوجيا اليونانية، بل السحر الذي كان منيعا، قبل اليونان و بعدها، لا وجود له تقريبا.

لم يكن عالم الميثولوجيا اليونانية عالم رعب يخيف الروح البشرية، صحيح أن الآلهة كانت كثيرة كثرة مربكة، فلا يستطيع أحد معرفة أين ستقع صاعقة زيوس، على أي حال كانت المجموعة المقدسة، باستثناء قلة قليلة لا اعتبار لها، تتحلى بجمال بشري، ولا نظن أن الجمال البشري يمكن أن يدخل الرعب في النفوس. إن أوائل الميثولوجيين الإغريق حولوا عالما مليئا بالرعب إلى عالم مليء بالجمال .

إن الأسطورة علم مبكر، إنها نتيجة محاولة الإنسان الأولى لتفسير ما يرى حوله، لكن ثمة أساطير لا تفسر شيئا البتة، إنها قصص للمتعة الخالصة، يرويها الناس في أماسي الشتاء الطويلة، فكانت بذلك صورة مبكرة للأدب. وفي هذا السياق يقول بيير غريمال : " يعتبر المؤرخون أن انتشار الأسطورة و الانفلات في تخيلها و اختراعها كان الركيزة الأساسية التي حملتها الحضارة اليونانية القديمة إلى الفكر البشري، وبفضل هذه الحضارة سقط الرعب عن كل ما هو " مقدس " ، و فتحت بقعة مهمة عن الذات الإنسانية فصارت مباحة للدرس و التأمل ، و بفضلها اكتسب الشعر نفحة الحكمة " ، " فمنها استمد الشعراء المسرحيون مواضيعهم و الشعراء الغنائيون صورهم و خيالاتهم " .

ب. الشعر الملحمي عند اليونان:

«إن الملاحم البطولية موجودة عند أكثر الشعوب، وهي حكايا شعرية تروي حوادث ذات أهمية من الدرجة الأولى وقعت في الماضي المجيد فكانت نقاط انعطاف في تاريخ الشعب المعني. ومن هذه الأحداث (أو على الأقل، أحدها) كان الحملة العظيمة التي شنّها اليونانيين على طروادة. غير أن الوقت الفاصل بين زمن وقوع الحوادث وصياغة الملحمة حولها يزيد على ثلاثمائة سنة ولذا فقد التصقت بلوحات الحياة الغابرة تفاصيل مستعارة من الحياة المعاصرة لمبدعي الملاحم المجهولين. لقد ظل الكثير في أساس الملحمة على حقيقته، ولكن الكثير أيضا تعدّل وجرى تفسيره في ضوء الأفكار والمفاهيم الجديدة»². تعود أقدم ملحمة في الأدب الإغريقي فيعود تاريخ نظمها إلى القرن 19 قبل الميلاد وهي الإلياذة L'Iliade المنسوبة إلى هوميروس³ الشاعر الضريير أو إلى عدة شعراء جوالين كما يذهب بعض الباحثين و تتألف من خمسة عشر ألفا و خمس مائة و سبعة و ثلاثين بيتا من الشعر (15537) و تروي ملابسات و أحداث حرب طروادة التي دارت بين اليونان و الطرواديين . تقع طروادة المدينة الأسيوية القديمة على شاطئ البوسفور و التي دخلت في حروب طويلة دامت قرنا كاملا من الزمان ، و أغلب الظن أن الحرب نشبت بسبب المنافسة على التجارة و السيطرة البحرية على جزر بحر إيجه و على سواحل الأناضول و شمال اليونان أما هوميروس فقد زعم أن الحرب نشبت بسبب اختطاف الملكة الإغريقية " هيلينا " بيد الأمير الطروادي " فارييس " و زعم أن الحرب استمرت عشر سنوات فقط ولكن إلياذة هوميروس لا تحكي قصة الحرب كلها، و انما تحكي قصة غضب « آخيلئوس » بطل أبطال الإغريق في الحرب، وهذه الملحمة تستغرق المقام الأخير من الحرب.

و إلى هوميروس كذلك تنسب " الأوديسة " I'Odyssee و موضوعها هو عودة أوديسيوس (أو بوليبيس) من حرب طروادة بعد انتهائها بعشر سنين بعد أن منعته الآلهة كالبيو من مغادرة جزيرة أوجوجيا سبع سنين، و الحوادث التي تعرضها هذه الملحمة تستغرق ستة أسابيع.

1- " إلياذة " هوميروس:

تعني كلمة (إلياذة) «ملحمة اليون» و موضوع الملحمة حوادث وقعت أثناء الحرب التي نشبت حول مدينة اليون نحو سنة 1200 أو 1100 قبل الميلاد ، و تقع اليون في الأرض المسماة طروادة ، وتسمى حربها الحرب الطروادية وأرض طروادة هي الزاوية الشمالية الغربية من الأناضول ، و طروادة على بضعة كيلومترات من البحر شرقا ، و من الدردنيل جنوبا ولا تزال أطلالها ماثلة إلى اليوم . كان أطراف الحرب رجال اليون تحت إمرة مليكهم فريام العجوز و أبنائه العديدين و حلفائه من ملوك غرب الأناضول و الجانب الأوروبي الواقع إلى الشمال من الدردنيل، وأعداؤه من الغزاة الذين عبروا البحر من الأرض والجزر التي تدعى الآن بلاد اليونان، وكانوا يتألفون من قبائل متعددة يطلق عليها اسم الإخائيين، تأتمر كل منها بأمر مليكها الخاص، ولكنها جميعا كانت تدين لملك الملوك المسمى آغامنون وقد عبروا البحر إلى الدردنيل، واتجهوا بسفنهم إلى الشاطئ الرملي جنوب المضيق قرب مدخله، وعسكروا هناك يوجهون غاراتهم برا إلى اليون، و بحرا إلى حلفائها، وظلوا على ذلك مدة تسع سنين.

² فواد المرعي: المدخل إلى الآداب الأوربية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، مصر، ط2، 1981/1980، ص23.

* لم يطرح القدماء أي شكوك حول الوجود التاريخي لشخصية هوميروس ، إلى غاية منتصف القرن الثامن ميلادي ، حيث أثار فقهاء اللغة جدلا كبيرا حول مؤلف الإلياذة و الأوديسة نظرا لما لوحظ على نصوصهما من تنوع و اختلاف في الأساليب ، و هذا ما جعل البعض يفترض أن يكون مؤلفها جماعيا و قد قام هوميروس بجمعها فقط ، لكن هذا الجدل حول هوية هوميروس شاعر اليونان الأعظم لم يحسم حتى وقتنا الحاضر على الرغم من تواضع الجميع على تسمية مؤلف الإلياذة و الأوديسة بـ " هوميروس " .

كانت قصة هذه الحرب تنتقل بالتواتر وبالأناشيد تنشد في أبهاء الملوك و النبلاء، إلى أن دونت كتابة بعد قرون من نهاية الحرب، وقد دونها الشاعر اليوناني هوميروس حوالي سنة 900 ق م .

سبب هذه الحرب، بحسب الأسطورة، هو سبي فاريس ابن ملك اليون لهيلانة زوجة ملك الايخانيين وقيل أن هيلانة هذه كانت أجمل بنات الأرض جميعا، فكثر طالبوا ودها وهي فتاة، وكان عروسها المختار هو مانيلا، ملك اسبارطة، وأخ أغاممنون، الذي كان ملك مسينا و ملك الملوك بين الايخانيين وقد حمل فاريس هيلانة إلى اليون ورفض الطرواديين إرجاعها. ولهذا استنفر أغاممنون ملوك التحالف الايخاني وأمراه لمعاقبة الطرواديين وحارب كل هؤلاء الملوك في اليون كما ورد في الإلياذة ومنهم نسطور المسن، وقد كان حكيما عند المشورة، ولكنه كان ثرثارا، وأياس السلمي من أشدهم قوة و شجاعة، وأوليس الذي حذق فنون الحرب كما حذق وضع الخطط والحيل، ثم الفتى أخيل الذي كان سريع الخطى مخيفا في الحرب، كريما، ولكنه أحيانا لا يشفق ولا يرحم. ولم يكن فاريس الضعيف، الخاضع لأهوائه أعظم أبطال الجهة الطروادية، بل إن أخاه هكتور هو الذي حمل أهم أعباء الحرب .

تفتتح هوميروس السرد من خلال غضب أخيل وأحداث القتال في عامه الأخير و يروي في حبكة محدودة ومتقنة كيف ولد أخيل، وكيف اختطف باريس هيلين، و يروي تواريخ حياة كل من قادة الإغريق (تاريخ طروادة قبل الحرب) كما يروي ملخصا لكل ما حدث في السنوات التسع التي استمر خلالها الحصار، فاللياذة هوميروس تبدأ بالمشاجرة التي وقعت بين أخيلئوس وبين ملك الملوك أجاممنون في السنة العاشرة من الحصار، وفي عذا الحصار يبذو الآلهة مختلفين، يتبادلون الشتائم ويرتشون، بعضهم يناصر اليونان وبعضهم الآخر يساعد الطرواديين . تبدأ حوادث الإلياذة بأن يأسر أغاممنون بنت قسيس للآلهة أبولو اسمها كريزيس و لهذا يتقشى الطاعون في جيش اليونان ، و يقبل أغاممنون أن يرد الأسيرة على شرط أن يأخذ مكانها بريزيس أسيرة أخيلئوس فيغضب أخيلئوس و ينسحب مع جنوده و صديقه باتروكاكولوس من الحرب ، فيضعف جيش اليونانيين على الإثر و ينهزمون و يعترف أغاممنون بخطئه ، و يرسل الرسل لمصلحة أخيلئوس الذي يرفض لأنه أبغض هذه الحرب الطويلة ،و يعلن أنه سيبحر في اليوم التالي مع أتباعه إلى الوطن و لكنهم يبقون على نصيحة الآلهة أثينا ، و تتوالى هزائم اليونانيين و يخجل باتروكاكولوس فيستأذن أخيلئوس في الاشتراك في الحرب مع جنده فيأذن له ويعيره سلاحه، و يهزم الطرواديين على الإثر ولكن باتروكاكولوس يقتل على يد هكتور، فيندم أخيلئوس على استسلامه لغضبه، وتأخذ صورة الانتقام لصديقه، فيصالح أغاممنون ويشترك في الحرب ويقتل هكتور ويعتزم التمثيل بجثته، و يأتي إليه بريام ملك الطرواديين الهرم ويرجو منه أن يسلمه جثة ابنه فيرق أخيلئوس لحاله ويسلمه إياها بدل رميها للكلاب .

2- ملحمة "الأوديسة" :

سقطت طروادة في ايدي الإغريق، واستعاد منلاوس زوجته هيلينا، وعاد بها إلى اسبرطة، كما عاد بقية الأبطال باستثناء أوديسيوس (يوليسيز أو عوليس) الذي تأخرت عودته عشر سنوات، تاركا زوجته بينيلوب وابنه تيليامخوس ينتظران عودته في موطنه في جزيرة إيثاكا.

إن موضوع الأوديسة هو المغامرات والمخاطر التي لقيها أوليس في طريق العودة إلى أثيني (إثاكا)، وهي تنقسم إلى 24 نشيدا، وتدوم أحداثها أربعين يوما، وملخصها أن أوليس أثناء العودة من حرب طروادة، أثار غضب إله البحر بوسيدون، الذي عاقبه بأن حكم عليه بأن يظل في البحر، بين الجزر والسواحل، وبطول غيابيه، استباح الأمراء مملكته وتهاافتوا على خطبة زوجته بينيلوب مجبرين إياها على قبول أحدهم زوجا لها، مما أغضب ابنه تيليامخوس (تيليماك) على حادثة سنه، وبمشورة الآلهة منيرقا إلهة الحكمة، خرج بحثا عن أبيه، والتقى برفاقه من أبطال طروادة الذين قصوا عليه أهوالها لكنهم لم يعلموا بخبر أبيه. أثناء ذلك، كان أوليس أسيرا عند الحورية كاليبسو في جزيرة أوجيجي والتي احبته وراودته عن نفسه لكنه بقي وفيا لزوجته ورفضها. نجح أوليس أخيرا في الفرار من الجزيرة على متن طوف لكن عاصفة هوجاء ألمت به

والقت به على سواحل جزيرة الفياسين بين الحياة والموتن وقد عثر عليه سكانها فأخذوه إلى ملكهم ألتينوس، فقص عليه ما عاناه من الشدائد والصعاب منذ غادر طروادة، مما جعل الملك يعجب به، ويزوده بسفينة أقلته إلى موطنه إيثاكا، وهناك تنكر أوليس في زي متسول ونزل عند الشيخ أومي حارس قطعانه، وتصادف ذلك مع عودة ابنه تيليامخوس من رحلته بحثاً عن أبيهن وقد تعرف عليه لما رآه، واتفقا معا على حيلة للقضاء على الأمراء المعتدين. وقد كانت بينيلوب طوال هذه السنين تماطل هؤلاء الخطاب بأن وضعت لهم شرطا يتمثل في فراغها من ثوب كانت تنسجهن ولكنها كانت تنقض في الليل ما كانت تنسجه طوال النهار، ولما طال الزمان وانقطع الأمل من عودة أوليس وقد عاث الأمراء المتنافسون على خطبتها وتولي المملكة فسادا، كادت ان ترضخ لولا ظهور أوليس متنكرا للقصر حيث فتك باعدائه، وتعرفت عليه زوجته الوفيه بينيلوب وجده الشيخ لايرت، وقد تاهب لمواجهة أهل الأمراء المقتولين، لكن الإلهة مينيرفا تدخلت في هيئة صديقه نسطور بحكمتها وجعلت السلام والرخاء يعمان المملكة.

3- مقارنة بين الإلياذة والأوديسا:

يذهب حنا عبود إلى أن الاختلاف بين أسلوب ملحمتي الإلياذة والأوديسة رغم كون أحدهما مكمل للآخرى، وتنسبان للشاعر نفسه، يعود إلى اختلاف الموضوع الذي يطغى على كل واحدة منهما، «فلا يمكن لملمحة القتال والاشتباك في سهل طروادة أن يكون مثل أسلوب عودة أوديسيوس على متن البحار وفي قلب العواصف والأنواء وعبر المضائق والوحوش البحرية الراحبة. فاختلاف الأسلوب نابع من اختلاف الأحداث والبيئة والشخصيات، فخصيات الأوديسة ليسوا محاربين، بل جماعة من المحاربين انتهت من القتال وعادت إلى أوطانها محملة بغنائم الحرب»⁴.

ويعدد من أوجه التشابه بين الملحمتين:

- الالتزام بالإطار القصصي العام، والمتمثل في قصة إليون أو إليوم إحدى أسماء طروادة، فكلمة الإلياذة تعني قصة إليون، وقصة أوديسيوس أو عودة أوليس في ملحمة الأوديسة، ومن خلال هذا الإطار القصصي، تتفرع قصص سابقة أو متزامنة مع أحداث القصة الإطار.

- الأسلوب الموضوعي الذي يتسم به الشعر الملحمي عامة. حيث يعرض الشاعر الملحمي أبطالاً بعيدين عن ذاته و يصور حياتهم و أعمالهم و عواطفهم و أهوائهم و كل ما يتصل بهم تصويراً موضوعياً و ليس في الملحمة أية إشارة إلى الشاعر ناظماً أو أي دخل لشؤونه الخاصة و قد يكون لشاعر الملحمة رأيه الخاص لكنه لا يذكره صراحة كأن يورده على لسان أحد الشخصيات مثلاً.

- كل الصور والمشاهد والتشبيهات التوضيحية مأخوذة من عصر البرونز وعصر الزراعة عموماً. وحتى عندما يقدم المشاهد في قلب إيثاكا، أو في السهل الطروادي، فإنه دائماً يأتي بالتشبيهات الملتقطة المرحلة الزراعية، على الرغم من قيام ما يسمى الدولة/المدينة.

- الأسلوب واقعي في الملحمتين، فعندما يقول السيد للعبد قل لسيدتك كذا وكذا، يذهب العبد ويعيد ما أمره به سيده. وكذلك عندما تأتي أيريس في "الإلياذة" برسالة من زيوس أو أي إله آخر أو ربة أخرى، فإنها تعيد ما سمعته بالحرف الواحد. وعندما يأتي هرمس في "الأوديسة" فإنه يؤدي الرسالة بحرفيتها. إن المؤلف لا يختصر كأن يقول مثلاً "وأبلغت أيريس الرسالة كما قالها لها زيوس" بل يجعلها تردد الكلمات ذاتها.

- الالتفات أسلوب هومري، فهو في الإلياذة والأوديسة يحول الكلام من الراوي الغائب إلى الراوي المتكلم. ولكن هذا لا يكون إلا مع الشخصيات الإيجابية. أما الشخصيات السلبية فإنه لا يستخدم معها هذا الأسلوب

⁴ حنا عبود: "مكانة الأوديسة"، الموقف الأدبي. مج. 35، ع. 418 (2006)، ص.6.

- التفصيلات واحدة في الملحمتين، فالمؤلف لا يقف عند العموميات بل يتدخل في الحياة اليومية ويعرضها بدقة مدهشة، ومن سمات الملحمة أنها تمثل لنا عالما كاملا بكل ما فيه من تفاصيل ومميزات هذا العالم أنه لا يمكن أن يكون إلا خاصا بشعب دون سواه ومن هنا كانت الملاحم حافلة بالصور التي تبرز لنا الأمم بعاداتها و تقاليدھا و في هذا يقول هيغل: " من يقبل على دراسة ملحمة ما يكون قد أقبل على دراسة أمة بتاريخها و مزاياها ...".

ومن أوجه الاختلاف نجد:

- تدور الحرب في الإلياذة بين الناس والناس، إنها حرب بشرية تعكس نوازع البشر المختلفة والمتضاربة، بينما في الإلياذة لا نجد شيئا من هذا، فالعرب تدور بين الناس والوحوش، باستثناء المجزرة الأخيرة التي أوقعها أوديسيوس بخاطبي زوجته. فهناك معركة بين أوديسيوس ورجاله وبين بوليفيموس، السيكلوب المتوحش أكل لحوم البشر. وهناك معركة مع وحشين متمثلين في مضيق بالقرب من مسينا بين صقلية وإيطاليا وهما سكيلا وخاربيديس، الأولى هربت من عاشقها الذي تعشقه الساحرة سيرسي، التي تضع رحيقا عشبيا في المكان الذي تسبح فيه سكيلا، فيذوب لحمها وتتغير هيئتها وتصبح وحشا بستة رؤوس واثنى عشر ذراعا، أما خاربيديس فتغرق مكانا برياً بالمياه من أجل والدها الذي كان رب مياه، فيغضب منها زيوس ويحولها إلى مخلوق يعيش في قلب البحر يبلع المياه بعنف وقوة ويتقيأها بعنف وقوة. وقد استطاع أوديسيوس وبهارته العبور، بعد أن قضت سكيلا على ستة من رجاله. هذه هي المغامرات التي يقوم بها أوديسيوس، وهي مغامرات محدودة، وليست مغامرات بين جيوش. أما في الإلياذة فإن هناك قتالا حقيقيا أدى إلى قيام تحالفات ونشأة فريقين متقاتلين. فالدول الإغريقية تحالفت فيما بينها من جهة، ومدينة طروادة وجدت أيضا حلفاء يقفون إلى جانبها من بلدان متعددة، من أقرب الجوار حتى إثيوبيا، فحتى الأمازونات سيرن جيشا كبيرا لمساندة الطرواديين.

- يمكن القول إن أسلوب الإلياذة هو أسلوب بري، بينما أسلوب الأوديسة هو أسلوب بحري. لا نجد في الأوديسة مثلا وصفا للأزهار والسهول والجبال والخيول والعربات والرماح والسيوف والدروع والتروس إلا القليل، بينما نجد الكثير والكثير جدا من هذه الأوصاف في الإلياذة، بل إن هناك وصفا تفصيليا للدرع الذي يصنعه الرب الحداد هيفيستوس للبطل أخيل بناء على طلب أمه ثيوس. وبالمقابل لا نجد في الإلياذة وصفا للأمواج والأنواء البحرية ولا الغيوم السوداء والبيضاء ولا تركيزا على مصارعة العواصف والزوابع في وسط البحار.

- صحيح أن في كل ملحمة بطلا: ففي الإلياذة أخيل وفي الأوديسة أوديسيوس، ولكن لا يوجد أي تركيز على أخيل إلا في الفصل الأول والفصلين الأخيرين، لأن بقية الأبطال يقاسمونه الكثير من الحصص السردية، بينما يستولى بطل الأوديسة على كل شيء تقريبا، فحتى عندما لا يكون موجودا فإنه موجود اسما وقضية سواء في اجتماع الخاطبين أو اجتماع الآلهة.

- هناك اختلاف في معالجة الشخصيات النسائية، ففي حين نجد الكثير من الشخصيات النسائية في الإلياذة لا نجد سوى شخصية مركزية واحدة في الأوديسة وهي بنيلوبي. إنها تستولي تقريبا على الملحمة مع أوديسيوس وتليماخوس، أما في الإلياذة فلا توجد شخصية نسائية تستولي على مثل هذه المساحة، ولهذا اتضحت معالم شخصية بنيلوبي أكثر من غيرها، وإن لم يقصر المؤلف في الإلياذة على إبراز بعض الشخصيات النسائية مثل هيلين وأندروماك وهيكيوبيا...

ج . المسرح اليوناني:

ظهر المسرح لأول مرة في اليونان وذلك في القرن السادس قبل الميلاد، وارتبطت نواته الأولى بأعياد ديونيسوس إله الطبيعة والحقول والكروم والخصوبة الذي أحبه اليونان و أقاموا له الاحتفالات العظيمة

التي يعبرون فيها عن مشاعرهم بالرقص والغناء كانت هذه الاحتفالات تقام في المعبد الخاص بهذا الإله، لكن مع مرور الوقت أصبحت تقام على سفح جبل "الكروبول".

وكان الشعراء الغنائيون ينظمون المقطوعات الشعرية ؛ الخمريات والديثورامبوس Dithurambos وينشدونها في أعياد ديونيسيوس ويتخذون أسطوره موضوعاً لأناشيدهم . وكان الشاعر يضم إليه جماعة من الناس يلقنهم بعض الأبيات التي تفيض بالحزن والأسى، يرددونها أثناء الإنشاد، كان أفراد هذه المجموعة (الجوقة فيما بعد) يرتدون جلد الماعز ليظهروا بمظهر الساتوروي (أتباع ديونيسيوس). كان " آريون الكورينثي" هو أول من أعطى عناوين ثابتة و محددة للأغاني الديثورامبية ، كما أنه أول من ابتكر الشكل الدرامي للرقصة الديثورامبية عام 650 ق.م وعلمها لأفراد (جوقة) في كورينثا، وثبت عدد الراقصين في خمسين راقصاً وأدخل مقاطع حوارية موزونة تلقى خلال الأناشيد، ثم ظهر " لاسوس " الذي عمل على نشر الرقصات الديثورامبية، وهي الرقصات أو الحركات التمثيلية التي كانت تصاحب أناشيد الديثورامبوس والخمريات بعد أن أدخل عليها بعض التعديلات. وتبعه شعراء آخرون ساهموا مساهمة فعالة في ارتقاء هذه الأناشيد التي اتخذت منحنيين : أولهما يتمثل في استمرارها كأغنية جماعية تنتمي إلى الشعر الغنائي، وثانيهما يتمثل في أنها شقت طريقها للدراما التمثيلية .

فقد ارتبطت نشأة المسرح بأنواعه بفن الديثورامبوس و كانت العروض المسرحية تقدم مرتين في العام وهي الأيام المخصصة لأعياد الإله ديونيسيوس ، وتقام بينها المباريات، رغم هذه النشأة الدينية إلا أن الدراما الإغريقية صبت اهتمامها على صراع الإنسان ومحنة أمام ما يتصف به من نوازع وأهواء داخلية، وقوى مسيطرة خارجية " ولم يكن الدين في الدراما سوى إطار لتعبير فني متكامل ومناسبة استغلها كتاب المسرح الإغريقي في عرض أفكار سامية، وفلسفة عميقة، وفهم للإنسان على مستوى يثير الانبهار لفرط قربه من الحقيقة و استناده إلى الواقع " .

1- تعريف المسرح (الدراما) :

المسرح أو الفن الدرامي تأليف أدبي مكتوب بالنثر أو الشعر بطريقة حوارية، وهو موجه للقراءة أو العرض على الجمهور. ويستعين المسرح الدرامي بمجموعة من العناصر الأساسية أثناء العرض مثل: الكتابة والإخراج والتمثيل والديكور والملابس وغيرها.

تشتق كلمة دراما من الفعل والصراع والتوتر، و" الدراما drama كلمة إغريقية قديمة يرجع اشتقاقها اللغوي إلى الفعل dran الذي كان يعني عند الإغريق " الفعل " أو التصرف أو السلوك الإنساني بوجه خاص " وقد استخدمت " للدلالة على كل الفنون المتعلقة بالمسرح حيث تتم المحاكاة عن طريق التمثيل " في حين تعني كلمة théâtre مكان المتفرجين ثم أصبحت تعني المتفرجين أنفسهم ثم تدرج معناها ليصبح العمل المسرحي ذاته. و لقد كانت الدراما اليونانية تنقسم إلى تراجيديا ، كوميديا و المسرحية الساتيرية .

2- أنواع الدراما :

أ - التراجيديا (المأساة) : و المعنى اللغوي لهذه التسمية هو " أغنية العنز " و المرجح أن سبب هذه التسمية هو أن أفراد الجوقة القديمة في الأناشيد الديثورامبية التي نشأت منها التراجيديا كانوا يرتدون جلد الماعز على أساس أنهم يمثلون دور الساتيروي أتباع الإله ديونيسيوس .

ب - الكوميديا (الملهاة) : المعنى اللغوي لهذه التسمية هو " أغنية القرية "وفقا لرأي أرسطو، و " النشيد الماجن " وفقا لرأي غالبية الباحثين المحدثين، فأرسطو يرى أن بذور الكوميديا ريفية، في حين يرى الباحثون المحدثون أن أولى مراحل الكوميديا تتفق في جوهرها مع " النشيد الماجن " وهو نشيد ارتبط أيضا

بعبادة الإله ديونيسوس. هذه الطقوس كان يقوم بها مجموعة من المهرجين (الضحّاكين) العابثين حيث ينتظمون في مواكب يرددون أغاني وأشعارا لا يُعرف اسم مؤلفها، والتي تمجد ديونيسوس .

ج - المسرحية الساتيرية (الميلودراما) : وهي مسرحية تشبه إلى حد كبير التراجيديا في نمطها ولكن موضوعها يدور بشكل عام حول الأساطير، وقد سميت بالمسرحية الساتيرية لأن أفراد الجوقة فيها ظلوا محافظين على ارتداء ملابس " الساتيريوي " أتباع الإله ديونيسوس، وهو الزي الذي كان يرتديه أفراد الجوقة " الديثيرامبية " التي نشأت منها التراجيديا، كذلك كانت الجوقة في المسرحية الساتيرية تقوم بأداء رقصة عنيفة تعرف باسم " سيكينيس " نسبة إلى مخترعها سيكينوس ، و كثيرا ما كان هذا النوع من المسرحيات يصور البطل المشهور هيراكليس بصورة كوميدية .

3- أعلام المسرح اليوناني:

1 - أسخيلوس (525 - 456 ق.م) : عاش أسخيلوس لإبان الحروب الأثينية الفارسية و شارك فيها، خصوصا في معركة ماراثون التي ظلت مؤثرة فيه و طبعت فنه بالطابع التراجيدي . خلال أربعين سنة من حياته، كتب حوالي ثمانين مسرحية تراجيدية و ساتيرية ، و كان تأثيره على الفن الدرامي قويا وحاسما حتى أن الأثينيين أسموه بـ " أب التراجيديا " و اعتبره النقاد المحدثون المؤسس الثاني للدراما .

أبرز ما يميز البنية الدرامية الأسخيلية عن سابقتها أنها ضمت أفكارا و مبادئ متناقضة مثلتها الشخصيات وأوجدت الصراع الدرامي، واستخدامه للممثل الثاني عقد الصراع مما خلق الحكمة الدرامية، ومع تعديلاته انتقل مركز الثقل من مكان الجوقة إلى منصة التمثيل، وتقلصت مشاركتها في الحوار الدرامي ونقص حجم أغانيها. كما أن مسرحه يزخر بالفخامة والوقار، فقد استعمل العبارات والأوزان القوية الرصينة، أوجد ملابس خاصة لممثلي التراجيديا تبعث على الهيبة ووسع منصة التمثيل وزينها بالمذابح والقبور والتمائيل ليزيد من تأثير المشهد على المتفرجين و صمم رقصات جديدة تلائم موضوع المسرحية .

استقى أسخيلوس كل مسرحياته من التراث الأسطوري باستثناء مسرحية " الفرس " وقد كانت دورة ملاحم الحرب الطروادية النبع الأسطوري المفضل لديه و لدى شعراء التراجيديا كافة ، فله أربع مسرحيات مأخوذة من الإلياذة و ثلاث من الأوديسة ، و الموضوع الرئيسي في مسرح أسخيلوس ككل هو عدالة الآلهة التي تعاقب كل متعجرف ظالم، وهي تدور بشكل عام حول الدين والأخلاق ومصير الإنسان ونظام الكون .

2 - "سوفوكليس" (496 - 406 ق م) ؛ عاش سوفوكليس طيلة القرن الخامس قبل الميلاد، أي عصر أثينا الذهبي، و قد نسبت إليه ما بين 103 و 130 مسرحية فقدت جميعها ما عدا سبع مسرحيات، وقد أخذ موضوعات نصفها من الحرب الطروادية .

بالمقارنة مع أسخيلوس من حيث مصادرهما الملحمية والأسطورية، نجد أن سوفوكليس يتجنب كل ما هو فوق مستوى البشر ويقترّب من كل ما هو آدمي، وقد انتقل مركز اثقل في مسرحه من قضايا الدين والأخلاق إلى قضايا الطبيعة البشرية، ومن ثمة فإن بنية المسرحية السوفوكلية وحكمتها وترتيب مشاهدتها، أصبحت كلها في خدمة هدف واحد هو رسم الشخصية، وقد تفوق في هذا على غيره من شعراء التراجيديا، ويقع تركيز سوفوكليس على الإنسان الذي يظهر في صورة محسنة ومثالية، فرغم أنه ابتعد عن الفخامة المبالغ فيها عند أسخيلوس، لم ينزل إلى مستوى الواقعية التي عرف بها يوريبديدس، وقد تميزت لغته بالبساطة والسمو وأسلوبه بالايجاز والدقة والإحكام كما استخدم الأسلوب الساخر المليء بالمفارقات التراجيدية .

3 - "يوريبديدس 484 - 406 ق م": ولد يوريبديدس من أسرة تتمتع بمركز اجتماعي ، قد كتب حوالي 90 مسرحية لم يبق منها سوى 17 تراجيدية و ساتيرية واحدة ، أخذ موضوعات خمسها من حلقة الحرب الطروادية ، و أخذ موضوعات الباقي من أساطير طيبة و أراغوس ، و كان يتعامل مع هذه الأساطير بحرية

تامة فيحذف و يضيف بما يخدم غرضه المسرحي ، و في هذه المرحلة من تطور المسرح اليوناني لم يعد الصراع الدرامي بين الإنسانو الآلهة لكنه صار صراعا داخليا نفسيا بين النوازع المتضاربة داخل النفس الإنسانية .

وفي هذه المرحلة تغلغل يوربيدس إلى نفسية المرأة، فصورها تصويرا سلبيا، خصوصا بعد أن اكتشف خيانة زوجته الأولى والثانية له، فكتب ثلاث مسرحيات تصور الخيانة الزوجية هي " هيبوليثوس " ، " هيكابي " و " أندروماخي " وهي جميعا اشتقت موضوعاتها من الأساطير التراثية .

كانت مسرحيات يوربيدس تنيل نحو الواقعية، فشخصياتها لا ترتفع كثير ا عن مستوى الإنسان العادي، حاول فيها جميعا تحليل النفس البشرية، والتطرق إلى أمور الدين تطرقا العقلاني المتأمل، وقد يؤخذ عليه التفكك في البنية الدرامية ، لكنه قد يكون تفككا مبررا لأنه استطاع من خلاله نقل أفكاره الجديدة التي لم تكن تنسجم تماما مع أفكار عصره، فقد كان تقدما ثوريا في آرائه، متمردا في كتاباته.

ومما يقال في المقارنة بين كتاب التراجيديا الثلاث "كتب أسخيلوس عن الآلهة، وكتب سوفوكليس عن الأبطال، أما يوربيدس فيكتب عن البشر".

4. أرسطوفانس (445 - 385 ق . م): يعد من أهم كتاب الكوميديا القديمة، ومعظم كوميدياته تصور الفترة التي أصبح فيها البناء الديمقراطي الأثيني هشاً متصدعا بسبب الحروب و الأخطار الخارجية والداخلية، وقد كتب 44 مسرحية لم يصل منها كاملا سوى 11 مسرحية .

كان أرسطوفانس محبا للسلام و معاديا للحرب لذا صب غضبه على الديماغوجيين الذين يخدعون الشعب بكلام معسول، وعلى العسكريين الذين يستفيدون من الحروب، والسوفسطائيين بوصفهم مفسدين للفكر اليوناني ومزيفين للحقائق، وعلى الشعراء في شخص يوربيدس لأنه قلب المفاهيم القديمة رأسا على عقب، ولقد اخترع أرسطوفانس لغة كوميديية خاصة من الكلمات ذات المعاني المزدوجة والايحاءات الخاصة، وكان أبرع الكتاب في التندر و الاقتباس الساخر خاصة ما اقتبسه من أشعار يوربيدس .

أهم المراجع المعتمدة:

- بيير غريمال : الميثولوجيا اليونانية ، ترجمة: هنري زغيب .
- أمين سلامة : الأساطير اليونانية.
- فرنان روبير : الأدب اليوناني، ترجمة: هنري زغيب .
- أ. أ. أنيهارت : الملحمة الإغريقية القديمة، ترجمة : هاشم حمادي .
- فؤاد المرعي : المدخل إلى الآداب الأوربية.
- فايز ترحيني : الدراما و مذاهب الأدب.
- محمد حمدي إبراهيم : نظرية الدراما الإغريقية.

